بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد

فهذه أجوبة عن أسئلة مهمة تتعلق بعلم الأصول قدمها فضيلة الشيخ سعد بن ناصر الشثري بين يدي شرحه لرسالة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله [الأصول من علم الأصول] أجاب فيها الشيخ عن شبهات تثار حول هذا العلم وحقيقة منشأ هذا العلم وأهميته وكي لا أطيل معكم في المقدمة أضع بين يديكم الأسئلة مع الأجوبة نسأل الله أن ينفعنا وإياكم بها

والأسئلة هي :

- لماذا ندرس علم أصول الفقه ؟
- وما هي الفائدة التي سنجنيها من دراسته ؟
- وهل هذا العلم مبني على كلام المتكلمين وعلى المناقشات العقيمة ؟

- وهل يترتب عليه فوائد وثمرات ومصالح بحيث نهتم بدراسته ، أو ليس الأمر كذلك ؟
- وما مدى أعمية دراسة علم الأصول ؟
- وهل لدراسة علم الأصول أصل في الشريعة أم هو علم مبتدع لم يكن معروفـًا عند سلف الأمة ؟

فأجاب فضيلة الشيخ : سعد بن ناصر الشثري حفظه الله

هذه أسئلة مهمة حيث يلقي الشيطان بعض هذه الأسئلة في نفوس بعض الناس ، ولذلك لابد من دراسة هذه الأسئلة والجواب عنها .

علم الأصول مأخوذ من شيئين :

الأول : الأدلة الشرعية كتابـًا وسنة .

الثاني : من لغة العرب التي نزل القرآن بها .

فعلم الأصول نجد قواعده في القرآن والسنة ، مثال ذلك :

قاعدة : ((حجية السنة)) هذه قاعدة أصولية أخذناها من قول الله عز وجل ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴿٧﴾ ﴾ [الحشر : 7]

وقاعدة : ((حجية الإجماع)) قاعدة أصولية أخذناها من قول النبي صلى الله عليه وسلم : ((لا تجتمع أمتي على ضلالة)) [1]

وقاعدة : ((الأمر يفيد الوجوب)) أخذناها من قوله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب : 36] .

ومن قوله سبحانه ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[النور : 63] .

إذن علم الأصول له مصدر أصيل من كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والأدلة الشرعية .

كذلك يؤخذ علم الأصول من لغة العرب ونحن نعلم أن القرآن جاء بلغة العرب كما قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[يوسف : 2] .

فإذا أردنا أن نعقل القرآن أخذنا من لغة العرب القواعد التي يفهمون بها كلامهم فإن القرآن جاء على لسان العرب وفق طريقتهم في كلامهم ولغاتهم وألفاظهم ، حينئذ علمنا أن هذا العلم ليس علماً مبتدعاً وإنما هو علم مبني على أصول متينة .

أما السؤال الآخر : لماذا ندرس علم الأصول ؟

---

[1] - أخرجه أبو داود (4253) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه ، والترمذي (2167) من حديث ابن عمر رضي الله عنه ، وابن ماجة (3950) من حديث أنس رضي الله عنه ، وأحمد (396/6) من حديث أبي بصرة الغفاري رضي الله عنه

ندرس علم الأصول لفوائد عظيمة التي نجنيها من دراسة علم الأصول .

ما هي الفوائد ؟

الفائدة الأولى : الحصول على رضا رب العزة والجلال ، فكل منا يريد رضا رب العالمين ، ومن الوسائل الموصلة لرضا الله تعالى : تعلم العلم الشرعي ، ومن أنواع العلم الشرعي : دراسة علم الأصول ، فإذا أردنا طريقاً إلى الجنة فلندرس العلوم الشرعية ومنها علم الأصول ، ولذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ((من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة))[2] .

الفائدة الثانية : فهم القرآن والسنة ، فالذي يعرف علم الأصول ولغة العرب يفهم القرآن والسنة وإنما تقع الإشكالية من أولئك الذين يكون عندهم حفظ للآيات القرآنية ، أو قراءة لها في المصحف ، ثم لا يكون عندهم قواعد أصولية ، وبالتالي ينزلون الآيات في غير منازلها ، فما جاءنا التخبط ، والتقول على الله بلا علم ، وتفسير القرآن بلا مستند صحيح إلا بسبب بعدنا عن هذا العلم – علم الأصول – ولا شك أننا نريد أن نفهم كلام رب العالمين ، فحينئذ نسلك الطريق إليه ، وهو يحصل بدراسة علم الأصول .

الفائدة الثالثة : أننا لا نستطيع أن نأخذ الأحكام من كتاب الله عز وجل ولا من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، إلا بدراسة علم أصول الفقه ، فإذا أردنا أن نقرأ صحيح مسلم ، ونستخرج منه الأحكام والفوائد والقواعد الفهية ، فلا بد من معرفة طرق الفهم ، وطرق استخراج الأحكام ، ومتى يكون اللفظ مفيداً

---

[2]- أخرجه مسلم (2699)

للحصر ؟ ومتى لا يكون ؟ ومتى يفيد اللفظ العموم ؟ ومتى لا يفيد ؟ هذه المسائل ندرسها في علم الأصول .

الفائدة الرابعة : معرفة أحكام النوازل الجديدة ، فنحن في كل يوم تأتينا مسألة جديدة ، مرة جوالات ، ومرة تلفزيونات ، ومرة كمبيوترات ، والكمنبيوتر فيه انترنت ، وفيه مواقع متعددة ، وفيه بيع وشراء ، وفيه بنوك أصبحت تستعمل أنواع جديدة من البيوع ، ولايمكن أن نعرف حكم الله في هذه النوزاع الجديدة إلا بتطبيق قواعد علم الأصول ، القرآن والسنة فيهما حكم لهذه الأشياء ، لأن الله يقول ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل : 89] ، لكننا لا نعرف كيفية دلالة القرآن والسنة على هذه المسائل الجديدة إلا بتطبيق القواعد الأصولية .

الفائدة الخامسة : فهم كلام الناس وفهم أوراق ثبوت الأوقاف ، والصكوك والأنظمة ، فإن كل هذه الأمور نفهمها بواسطة القواعد الأصولية التي كتبها علماء الأصول في قواعد الاستنباط ، متى يُفهم من اللفظ الذي تكلم به أحد الخصوم بواسطة مفهموم المخالفة ، ومتى لا يفهم منه ؟

مثال ذلك : تخاصم اثنان فقال أحدهما للآخر : أمي ليست بزانية ، فأخذنا هذا المتكلم وجلدناه حد القذف ، قال : أنا ما قذفته . قلنا : عندنا مفهوم مخالفة وعندنا دلالة إشارة ، تدل على قذفك له .

فهذه قواعد أصولية فهمنا بها كلام ذلك المتكلم ، وحينئذ نعرف أن هذا العلم له قيمته ، وله أهميته ، وله وزنه .

فإن قال قائل : أجد بعض الناس يقول : هذا العلم علم للمتكلمين وهذا من علم الكلام المذموم .

قلنا له : ما المراد بعلم الكلام ؟

لابد أن يعلم أن الفلسفة والمنطق علمان مغايران لعلم الكلام ، وكل واحد منها له معنى ، فعلم الكلام المراد به علم العقيدة ، فإن قال قائل : كيف يكون علم العقيدة هو علم الكلام ؟

فنقول : إذا نظرنا في شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز مثلا نجده في مقدمة كتابه يقول : وسُمي هذا العلم الكلام لأنهم كأنوا يقولون في أوائل الأبواب : باب الكلام في كذا ، أو لأن أول مسألة حدث النزاع فيها هي مسألة صفة الكلام لله عز وجل .

ولكن قال الإمام الشافعي : حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في العشائر والقبائل ، ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام .

ماذا نقول عن كلام هؤلاء الأئمة في ذم علم الكلام ؟

نقول : أراد هؤلاء الأئمة ذم من قام ببناء المعتقد على قوانيين اليونان وغيرهم من الأمم السالفة ، أما من بني معتقده على الكتاب والسنة فإنهم لم يقصدوه بالذم .

ما علاقة علم الأصول بعلم الكلام ؟

وبناء على ما سبق فإن علم الأصول علم مستقل مغاير لعلم الكلام ، يبقى بين علم الكلام ترابط من جهة أننا ينبغي أن نطبق قواعد الأصول في فهم الكتاب

والسنة لاستخراج المعتقد الصحيح فيما يسمى بعلم الكلام ، لأننا يجب أن نأخذ العقائد من الكتاب والسنة ، وحينئذ إذا أردنا أن نفهم الكتاب والسنة ونأخذ منها العقائد فلا بد لنا من فهم القواعد الأصولية ، وبالتالي فعلم المعتقد الصحيح نستنبطه من الكتاب والسنة . ولذلك فإن علماء السنة يقولون : ما أثبته الله لنفسه وما أثبته له رسوله أثبتناه ، وما نفاه الله ورسوله نفيناه ، وما سكت عنه كسنتا عنه .

وبناء على ذلك فالأئمة يطبقون القواعد الأصولية في فهم المعتقد ، فمثلاً قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ ﴾ [النساء : 136] آمنوا : فعل أمر فيفيد الوجوب .

ومثله قوله تعالى ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ [المطففين : 15] أخذ منه أهل السنة إثبات رؤية المؤمنين لله ، بواسطة قاعدة : مفهوم التقسيم ، لأن الله تعالى قسم الناس إلى صنفين : أبرار وفجار فقال في الفجار : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴾ وسكت عن الأبرار ، فدل على أنهم يخالفونهم في الحكم وأنهم يرون ربهم ، هذا يسمى : مفهوم التقسيم ، وهو أحد أنواع مفهوم المخالفة ، فهم يستدلون بواسطة هذه القواعد الأصولية .

أما علم الفلسفة فإنه يراد به النظر إلى الخالق ، والكون والإنسان ، هذه العلوم يسمونها : الفلسفة ، كأنها نظرة كلية ، لذلك نجدهم يدخلون في علم الفلسفة العديد من العلوم ، يرون أنها من أقسام علوم الفلسفة ، ولذلك تجد في العصر الحديث يسمون كلية الفلسفة ، ويدخلون فيها قسم الآداب ، وقسم الدراسات الإسلامية ، وقسم كذا .

والفلسفة تختلف باختلاف النظرات ، فمن كان موجداً مؤمنـًا فإنه يأخذ النظرة الصحيحة من الكتاب والسنة تجاه هذه الأمور وهذا علم محمود ، أما المذموم فهو الذي يأخذ هذه العلوم من مصادر أخرى تخالف مافي الكتاب والسنة .

ثم أطلقت كلمة المتفلسفة على من ينظرون إلى الاحتمالات ويقدمونها ويشككون في أي شيء بمجرد الاحتمال ، ولذلك تحدهم يتكلمون ويتناظرون الساعات الطويلة مثلاً تجدهم يتنافشون في هل هذا العمود موجود أو غير موجود ؟ لأنه يقول : يمكن أن يكون هذا العمود مثل السراب ، فإنك إذا سافرت في الصحراء ترى ماءً وإذا وصلت إليه وجدت سرابـًا ، يمكن أن يكون هذا العمود مثله ، حتى يصل إليهم التشكيك في أنفسهم ، ومن يسمونهم بالمتفلسفة على ثلاث طوائف ، لكل طائفة عقائدها .

ما هو المنطق ؟ وما صلته بعلم الأصول ؟

المنطق يقولون : إنه آلة قانونية تعصم مراعتها الذهن عن اوقوع في الزلل .

أي أن المنطق عبارة عن كيفية تصور الأشياء المفردة والربط بين الأشياء المتعددة ، هذا خلاصة المنطق فهو قسمان :

الأول : التصور ، وتصور الأشياء يقولون : يكون بواسطة الحدود ، التي هي التعريفات ، فإذا أردت أن أعرف هذا فإنني أعرفه بواسطة التعريف هذا التعريف له شروط عندهم .

والقسم الثاني من علم المنطق : التصديق ، وهو ربط قضية بقضية ينتج عنهما قضية أخرى ، كأن يقول السقف لا يمكن أن يترفع وحده وارتفاع الصبّات يكون بواسطة بناء فبالتالي السقف قد بُني تحته بناء يرفعه عن الأرض ، مثلا هذه قضية

، وهم يقسمونها إلى أشكال متعددة ، يوصلونها إلى اثنين وثلاثين شكلاً وبعضهم يوصلها إلى أكثر من ذلك .

ما علاقة المنطق بعلم الأوصل ؟

المنطق تجد فيه تعريف مصطلحات عديدة مثل كلمة : حد ، التي هي بمعنى : تعريف ، وهذه المصطلحات موجودة في علم الأصول وتستخدم كذلك في بقية الفنون .

فحينئذ العلاقة بين المنطق وعلم الأصول : أن في علم الأصول استخدام مصطلحات منطقية ، وليس فيه استخدام لقضايا منطقية ، وإنما مصطلحات منطقية ، وحينئذ قد يقدون لكتب علم الأصول بمقدمة منطقية لفهم هذه المصطلحات التي تستخدم في كتب الأصول .

هل علم الأصول علم مبتدع ؟ أم علم سلفي ؟

تقدم معنا أن علم الأصول مشتق من الكتاب والسنة مبني على لغة العرب ، ولذلك كان أوائل التأليف في هذا العلم تأليفا سلفيـًا ، فأول من ألف فيه هو الإمام الشافعي ، وهو إمام من أئمة أهل السنة والجماعة .

بماذا تجيبون عن القول بأن هناك مؤلفات كثيرة على علم الأصول ألفها المعتزلة والأشاعرة ؟

نقول : كذلك في علم التفسير أيضا ألف معتزلة ، فألف الزمخشري كتابه " الكشاف " . وألف الجصاص الرازي كتابه " أحكام القرآن " ، وهم معتزلة

وكذلك ألف في التفسير أشاعرة ، فالفخر الرازي ألف في تفسير القرآن فحينئذ هل يمنعنا ذلك من قراءة التفسير السلفي للقرآن ؟

نقول : لا نمتنع ، كذلك علم الأصول كونه وجدت فيه مؤلفات معتزلة أو الأشاعرة لا يمنعنا أن ندرس هذا العلم على وفق مذهب أهل السنة والجماعة .